المعمل الانساني

ينظر الانسان الى ما اخترعه من المعامل السريعة والآلات المتقنة العجيبة وما ولدته له الكهربائية من الغرائب العديدة فيحار لبه فيها ويظن انه ليس اعجب منها ولكنه لو نظر الى جسمه وما يتحرك فيه من آلات ويجول من دماء لوجده بالحقيقة معملاً لا يدانيه على صغره معمل في الارض مهما عظم واتسع ولعلم ان الانسان انما يقلد حركة جسمه واتقانها وانتظامها ولكن هيهات ان يبلغ مبلغها في الدقة والكمال

فانه لو نظر الانسان الى قلبه الصغير الذي تحويه دفتا صدر ضيق لوجده من اعظم المعامل حركة واجلها اتقاناً لان هذا الفؤاد الصغير لا ينفك عن الحركة لحظة واحدة منذ ينشأ حتى يفنى بل هو يدير ذاته بذاته ويرد فساده بصلاحه ويشتغل ليل نهار بما لا يشتغله اعظم المعامل بل لا يستطيعه فانه يقذف الدم الى الوف الانسجة والاورده الدقيقة ثم يستردها الى حيث كانت وهكذا دون انقطاع مدة الحياة ودون ادنى خلل في الوظيفة

ولقد حسب ان ما يشتغل به القلب كل ضربة من ضرباته تبلغ ست اواق من الدم وهي تبلغ ٧٢ ضربة في الدقيقة بحيث ان ما يشتغل به من الدم كل دقيقة يبلغ ٤٣٢ اوقية وما يشتغل به كل مدة اليوم يبلغ ٣٨٨٨ غالوناً وهو مقدار عظيم لا يتصور انسان انه يجول في جسمه وان قلبه يتولى تدبيره وتصريفه . ذلك عدا العمل العظيم الذي تتولاه الرئتان دون انقطاع كالقلب ودون ان يدري الانسان بمقدار عملها في جسمه وجهدها لابقاء حركته

وحياته وقد حسب ان مقدار تنفس الانسان بالدقيقة يبلغ ١٧ مرة وفي اليوم كله ٢٤٤٨٠ اي انه يشتغل بالتنفس شغل اعظم دواليب المعامل واسرعها الان الهواء الذي يشتغل به لقوام الحياة يبلغ ٧٣٤٤٠٠ عقدة مكعبة كل يوم بحيث انه لو حسب شغل الرئتين بالقياس الى سائر اشغال الناس لوجدانهما قائمتان بعمل ٢٠٠ رجل في معمل كل منها

اما سائر الآلات البدنية وما تشتغل به لحفظ الحياة كتنفس المسام وسواها فما يقضي بالعجب العجاب ويدل على ان الجسم الانساني معمل لا يدانيه معمل في الارض بل ان كل آلة من آلاته تحسب بمقام معمل متقن تام . ولكن اكثر فحم الحجري يرد مجاناً من عند الهواء فضلاً عن ان عماله لا ينقطعون لحظة عن العمل ولا يعتصبون

كيمياء الشحاذة

تقول العامة عندنا ان الشحاذة كيمياء وهي تريد بذلك الدلالة على فرط مايرد بسببها من الاموال بدون حق كأنما هي الكيمياء التي يأتي بها المال من تحويل معدن دنيء لمعدن كريم او هي الكيمياء بذاتها من جهة تحويل ماء الوجه الى فضة وذهب ولا بد ان يبقى هذا الوصف صادقا مادام في الناس من يتصدق على كل بائس متجول وما دام في الناس من تهون عليهم كرامة نفوسهم في هذا السبيل

ولقد نجد الشحاذة عندنا تمتد وتنتشر كلما انتشرت الثروة العمومية

وكثرت الاشغال على خلاف مقتضى الطبيعة فصرت ترى الاشداء الاقوياء يضايقون عليك جلوسك ويمنعون راحتك بكثرة طلباتهم والحاحهم كأنما انت مديون لهم او نفقتك عليهم واجبة وقد تفننوا في ذلك ما شاءت الحيلة حتى صار الواجب على الحكومة ان تهتم بهم وترى رأياً في تشغيلهم لا من حيث مضايقتهم للناس بل من حيث نشرهم للكسل بين كل مستعد له مترشح لقبوله

ثم اننا نظن ان الشحاذة مخصوصة بفقراء بلادنا ممنوعة عن فقراء اوروبا حيث تكفل الحكومات بحاجة كل عاجز او تعين على العمل كل معطل ولكن الحقيقة ان هذه الكيمياء ممتدة الى كل طرف واصلة الى كل مكان ولكن على طرق شتى لا يستطاع منعها واخص ما يكون ذلك في مدينة لندن العظيمة حيث صارت الشحاذة حرفة تذكر فتشكر بعد ان كانت تذكر فتنكر

KIS فلقد ذكرت احدى الصحف انه لما كان مريد التسول هناك لا يستطيع ان يسأل الناس جهاراً عمد الى بعض اشياء دنيئة يبيعها متوسلاً بها وذاكراً لشاريها انه فقير يستحق الاحسان فيأخذ منه مثلاً علبة من الكبريت او ربطة للحذاء او شيئاً من ذلك فيكون في الظاهر بائعاً تاجراً وهو في الحقيقة شحاذ اخاذ لان هذه الطريقة تستندي الاكف اكثر من التسول العلني وقد فشت هذه الطريقة في بلادنا ولكن اكثر متبيعها من الافرنج الذين تدور نساؤهم بازرار الورد ورجالهم بعلب الكبريت والموسيقى وسواها فينالون بذلك ما لا يناله سواهم بعرق الجبين وتحمل التبعة والخذر على رأس المال

الا ان هذه الطريقة محتملة ميسورة بالقياس الى سواها وهي طريقة التسول بالكتابة فان الشحاذين في تلك البلاد يطالعون الجرائد بامعان فاذا

قرأوا ان فلاناً قد جاءه مولود بعثوا اليه في الحال بالتهنئة ذاكرين له فقرهم وشدة احتياجهم فيبعث اليهم بما يستطيع واذا سمعوا ان رجلا نال وظيفة بعد ان طالت عطلته ارسلوا له التهنئة مستجدين واذا عرفوا ان فلاناً ربح قضية او كسب في مشروع او شيء من ذلك فعلوا هذا الفعل حتى صار الاستجداء هناك صناعة واي صناعة وقد تفنن فيها النساء بالخصوص فصرن اذا علمن بمولود جديد ارسلن اليه جواربا من صنعهن او قميصاً او نحو ذلك فينلن عليه ما يزيد بكثير عن ثمن ما يرسلن ولهذا يقال ان من النساء والرجال الجارين على هذه الطريقة من يربح الواحد منهم نحو خمسة جنيهات في الاسبوع وهو مقدار لا يربحه اشد المتوسطين جهداً واكثرهم للعمل اتقاناً ولكن الحكومات مع ذلك لا تستطيع منعهم لانهم يبيعون ما لهم حق امتلاكه وهو ماء الوجه

على ان كل هذا ليس بالغريب لدينا بل هو موجود كله وزيادة لان بلادنا مقدمة على كل بلاد من جهة التصدق على الناس والاشفاق عليهم ومن جهة قلة العمل والارباح ولكنه يجري عندنا نوع من الشحاذة ربما لا يكون موجوداً في اوربا على كثرة تفنن اهلها وهو نظم القصائد او نسخها وارسالها للوجهاء قصد الاستجداء دون ادنى معرفة بهم او اتصال بين الناظم وبينهم وهؤلاء هم ممن يقرأون الجرائد بامعان كثير فاذا رأى الواحد منهم ان فلاناً قد جاءته رتبة بادر في الحال الى قلمه ونظم له ما استطاعت القريحة الوقادة وارسله اليه ثم يقرأ ان فلاناً مثله نال وساماً فيبادر في الحال ويرسل اليه نفس القصيدة حتى لقد يرسلها الى عشرة واكثر في يوم واحد فاذا جاءته الجائزة من اثنين منهم فقط كان في ذلك كفاية وغنى لان الجائزة لا تكون

من وجيه نال رتبة اقل من ثلاثة الى خمسة جنيهات فاذا اتفقت له هذه الحال مرتين فقط في الشهر كان له عشرة جنيهات اي راتب موظف مهم في الحكومة وسواها ولكن الموظف ينالها وهو على خطر العزل فوق خطر العمل المتصل وذاك ينالها وهو جالس في النوادي متخطر في الشوارع وقد يعتبر نفسه ذا فضل من حيث انه « شاعر » وانه ذو فضل على الممدوح بانه مدحه وزاد في تشريفه وليس بعد هذه الشحاذة من كيمياء

على انه لا ينكر ان التوسل بالشعر لا يعد عاراً لانه يشترط من اجله ادق الشروط واصعبها وهو الشاعرية التامة والذوق الحسن والمدح الصحيح كما كان يفعل الشعراء السابقون المجيدون ويفعل الان جماعة معدودون مجيدون مثلهم فيكون جزاؤهم على ما نظموا واجباً ويعدون ذا فضل حقيقي على الممدوح لانهم شرفوه حقيقة وجعلوا الناس تتحدث به وبالقصيدة المنظومة فيه ذلك عدا ما يستشعر به الممدوح من انه زاد نباهة وامتد صيتاً وعاش بعد موته كثيراً . ولهذا كان الشعر يطلب من الشاعر طلباً وكان العظام يتوسلون الى الشعراء توسلاً لكي يمدحوهم فان المتنبي مدح مرة احد العظماء فوقف الممدوح بين يديه اجلالاً له وللذي يلقى عليه من كلامه النفيس وشعره الغالي . وكان سيف الدولة يعاتب المتنبي حين يتأخر عن مدحه كأنه كان يشعر بنفسه ان قدره يهم بالانحطاط فهو يريد رفعه بقصيدة تقال فيه . وكان البحتري يدل على العظماء والخلفاء ويتيه عليهم في شعره ويدعي ان ما اخذوه منه افضل بكثير مما اخذه منهم وكان يثبت ذلك في نفس مدائحه وتقبل دعواه بالرضى لان المال الذي اخذه منهم لم يبق منه شيء ولو كان للبحتري او المتنبي ورثاء باقون للان لما كان في اكياسهم دينار واحد مما تركه

جداهم بل لما كان لورثة المتنبي ذلك الدينار المشهور الذي اخذه جائزة من علي بن الحاجب على قصيدته البائية المعروفة بالدينارية ولكن القصائد التي مدح بها اولئك الخلفاء والعظماء باقية للان وهم بسببها يذكرون حتى الساعة وحتى الابد مع انه لولاها لما تكلف التاريخ ذكرهم ولو تكلفه لما شهرهم واكثر معرفة الناس بهم كما فعلت القصائد

وعلى الجملة فان الاستجداء بالشعر او اتخاذه حرفة قد كان شريفاً نزيهاً بقدر ما هو حقير دنئ الان وذلك ليس لان العادة قد امتنعت وامتنع اقبال الناس على الشعر بل لان المجيدين عندنا الان لا يمدحون احداً حتى تبدو حقيقة جزائهم بل المداحون الان هم المتسولون الشحاذون الذين اذالوا قدر الشعر وحقروه ولهذا يحسن بكل غني وردته قصيدة من دجال في الشعر ان يعرضها على خبير به فيخبره بقدرها حتى ينبذها ويمنع هذه العادة بعدم الجزاء عليها الا اذا كانت من شاعر مجيد فانها تكون بمثابة هدية يجب مقابلتها بمثلها لان المدحة من الشاعر المجيد تكون بمثابة صورة متقنة اهداها مصور الى غني فمثله بها من جهة الخلق كما مثلته صورة المصور من جهة الاخلاق او بمثابة تمثال نحته نحات ماهر واهداه الى وجيه وهذا مما يحسن الجزاء عليه والمنافسة به من جهة وفاء الحق ومن جهة تشريف قدر الشعر واصحابه المحسنين المبدعين